

الصوائت الطويلة في العربية بين الحركة والسكون

أ.د. علي كاظم المشري & م.باحث: أسامة محمد حسين
كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

يقف هذا البحث على موضوع من موضوعات علم الأصوات وقع ميدانا للخلاف بين منهجين في دراسة أصوات العربية ، منهج أسسه علماء العربية القدماء قائم على قدر من المعيارية غير يسير، ومنهج آخر سلكه اللغويون المُحدثون يتخذ من الوصفية أساسا لا يحيد عنه ، وهو موضوع الصوائت الطويلة في العربية باصطلاح المحدثين ، وحروف المد باصطلاح القدماء وهي الألف والواو والياء المسبوقه بحركات من جنسها ، إذ أجمع علماءنا القدماء على أن حروف المد ساكنة ، على حين أجمع علماء الصوت المحدثون (أجانب وعربا) على تخطئة القدماء في ذلك ، وذهبوا إلى أنها حركات طويلة تفرق عن الحركات باصطلاح القدماء في الكمية ، ولا نعدم أفرادا من المنهجين سلكوا سبيل المنهج الآخر ، ومنهم من جمع بين الرأيين وخرج بالتوفيق بين الرأيين كما سنعرف .

المقدمة :

هل ثمة حركات قبل أصوات المد الغربية ؟

موضوعُ هذا السؤال من أبرز مكامن الخلاف بين المُحدثين والقدماء ، فقد أجمع القدماء على أن حروف المد مسبوقة بحركاتٍ مجانية لها، فالألف في (كاتب) مسبوقة بفتحة، والواو في (سور) مسبوقة بضمة، والياء في (قيل) مسبوقة بكسرة، وإذا ما تأملنا المسألة جيدا أمكننا القول بأنها تُمثل إشكالية تتطوي على مشكلات؛ ذلك أن الإشكالية بمفهومها المعاصر - كما يقول الأستاذ الدكتور جواد كاظم عناد- : ((تعني منظومة من المشكلات التي لا تقبل الحل إلا في إطار عام يشملها جميعا))^(١) ، ومن ثم فإن هذه الإشكالية تنحل إلى مشكلاتٍ ثلاثة*، وهي :

١- أصوات المد حروفٌ هي أم حركات؟

٢- ساكنة هي أم متحركة؟

٣- هل ثمة حركات قبلها؟

والإجابة على المُشكل الأول تُغني عن إجابة المُشكلين الآخرين، فقد تبين مما سبق أن المُحدثين مُجمعون على أنها حركاتٌ طويلة، وهذا ما يستلزم استحالة سكونها أو كونها مسبوقة بحركات، ولما كان القدماء يعدونها حروفاً أفضى ذلك بهم إلى القول بسكونها وكونها مسبوقة بحركات.

وقد صرح المُحدثون -غربيين وعرباً- بتخطئة القدماء في ذلك، وكانت عباراتهم قاسية شديدة، ولعل أول إشارة إلى ذلك وردت عند برجستراسر، إذ قال: ((إن النحويين القدماء وإن كانوا أموا بخواص الحروف الصامتة إماماً مقبولاً حسناً ، فلم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة ؛ لأنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافاً للنطق، قرأوا أنه في بعض الأحيان لا يُكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة نحو: (فعل) ، وأحيانا يُكتب بينها حرفاً من حروف المد نحو: (فاعل)، فلم يدروا أن الحاليتين سيان في أن تُنطق بعد الفاء حركة في كليتهما، إلا أنها مقصورة في الأولى وممدودة في الثانية، بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا الحاليتين، أضيف إلى الحركة في الحالة الثانية شيء غيرها (هو الألف))^(٢) .

إذن فهو يرى أن القدماء كانوا على خطأ في تصوّرهم أنّ أصوات المدّ حروف، وإنّما هي حركات ممدودة، وكانوا على خطأ في تصوّرهم أنّ قبل ألف (فاعل) فتحة هي فتحة فاء (فعل) نفسها، ثم عبّر برجستراسر عن تصور القدماء هذا بأنه (ضلالة)، قال: ((وهذه الضلالة هي منبع ضلالاتٍ ومُشكلاتٍ كثيرة، تَجَبَّنّاها نحن إذا فهمنا أنّ الحركات منها مقصورة ومنها ممدودة، وأنّ الحركات الممدودة يُشارُ إليها بحروف المد))^(٣)، وقد استعار الدكتور إبراهيم أنيس التعبير نفسه بلا عَزْوٍ، ولكنه كان أشدّ قسوةً فقال: ((ولكنّ القدماء قد ضلّوا الطريق السويّ حين ظنّوا أنّ هناك حركاتٍ قصيرة قبل حروف المدّ، فقالوا مثلاً إنّ هناك فتحة على التاء في: (كتاب)، وكسرة تحت الراء في (كريم)، وضمة فوق القاف في (يقول)!!، والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في كتاب مُحَرَّكةٌ بالألف والمدّ وحدها، والراء في كريم مُحَرَّكةٌ بياء المدّ وحدها، والقاف في يقول مُحَرَّكةٌ بواو المدّ وحدها))^(٤)، ثم أنّهم الدكتور أنيس علماءنا القدماء بأنهم قد توهموا ذلك بسبب من الكتابة العربية، قال: ((ويظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في كتاب، وكسرة تحت الراء في كريم، وضمة فوق القاف في يقول، قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركاتٍ قصيرة في مثل هذه المواضع))^(٥).

وقد ردّد المُحدّثون العرب بعد الدكتور أنيس هذه الملاحظة من دون مناقشة ولا تحليل، قال الدكتور كمال بشر: ((إن هذا الذي رأوه بالنسبة لهذه المدّات ليس إلا تناقضاً صريحاً، أوقعهم فيه عدم قدرتهم على التفريق بين الصوت والرمز الكتابي الذي يشير إلى هذا الصوت... ممّا أدى إلى وقوع اضطرابٍ مصحوبٍ بعدم دقّة فيما وصلوا إليه من قوانين صوتية وغير صوتية))^(٦)، فهو يعتقد أنّهم غير قادرين على التمييز بين الصوت ورمزه الكتابي، وقال الدكتور بشر أيضاً: ((فهذه الأحرف في نظرهم مدّات، وهي في الوقت نفسه ساكنة، وهذه المدّات كذلك مسبوقة بحركاتٍ مجانسة، [وهذان] حكّمان لا صحّة لأحدهما، ويدلّان على اضطرابٍ في فهم حقائق الأشياء، فكونها مدّاتٍ يعني بداهة كونها حركاتٍ طويلة [aa,ii,uu]، وذلك يُبطل كونها ساكنة؛ إذ السكون عدم الحركة... وأمّا أنّ هذه المدّات مسبوقة بحركاتٍ تُجانسها فهو وهمٌ آخرٌ لا أساس له من الصحة؛ إذ ليست هناك حركاتٍ سابقة أو لاحقة، وإنّما المدّات نفسها هي الحركات، وهي حركاتٍ طويلة))^(٧)، وسبب خطئهم هذا - في نظر د.بشر - ((انخداعهم بغياب علامات الحركات الثلاث القصار، متأثرين بالرموز الكتابية))^(٨).

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين: ((أنّ توهم وجود فتحة قبل الألف، أو ضمة قبل الواو، أو كسرة قبل الياء، ليس إلا من خداع الكتابة، وأنّ القدماء وقعوا في هذا الوهم وانخدعوا به، مُنذ أن استعملت الكتابة العربية رموز الضبط الإضافية على عهد الحجاج الثقفي، ومضى النحاة والصرفيون مع الوهم يضعون قواعد، مازالت تعشش في الكتب والمناهج والأذهان))^(٩).

إنّ هذا التصور وإن أمكن قبوله من جهة كونه مناقشة لرأي اجتهاديّ لعلمائنا القدماء، وليس هم [أي القدماء] بمعصومين ولا فوق أنّ تُناقش آراؤهم، وما أروع ما روي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) من قوله: ((ما من أحدٍ إلا مأخوذٌ من قوله ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر)) وأشار إلى قبر النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١٠)، إلا أنّ في التعبير عنهم بأنهم قد ضلوا الطريق السويّ، وأنّهم قد انخدعوا بالكتابة، إساءة لمقام هؤلاء الأفاضل واستخفافاً بحقهم وعلمهم، وكيف ينخدعون بالكتابة وهم الذين وضعوا أصولها وقواعدها؟

إلا أنّ بعض المُحدّثين كانوا أكثر إنصافاً لعلمائنا القدماء، وأعمق فهماً لأرائهم، منهم جان كانتينو، إذ تَقَطَّن إلى أنّ النحاة العرب حين قالوا بسكون أصوات المدّ إنما انطلقوا في ذلك من رؤيةٍ تركيبية، متعلقة بوظائف الأصوات لا بالنطق المفرد لها، فقال بـ: ((أنّ الكسرة والضمة الطويلتين - صوتياً - لا تُعتَبَران دائماً من ناحية علم وظائف الأصوات مُمَثِّلَتَيْن لدرجة الكسرة والضمة الطويلة، فشعورهم بهاتين الحركتين الطويلتين كأنّها تُمثِّلُ كسرةً وياءً (يـ)، أو ضمةً وواواً (وـ)، ... من

ذلك أنه يبدو أنهم يشعرون في تحليلهم بأن كَيْس (kiis) تمثل كَيْسْ (kiys)، وبأن سوق (suuq) تمثل سُوقَ (suwq)..^(١١)، ثم صرّح بصدحة هذا الوصف بقوله: ((وهذه التحاليل الوظائفية صحيحة أيضاً بالنسبة إلى اللهجات العربية العصرية))^(١٢) وإذا ما مثلنا ما قاله كانتينو مقطعيًا يكون كالآتي:

ك — س (س ع ع س) = ك — ي س (س ع س س)

فساووا في وصفهم بين مقطع مديد ومقطع طويل مغلّق بصامتين.

ويرى الدكتور تَمَّام حَسَّان أنَّ الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حروف المد، لم يقصدوا أن حرف المد مُشكَّلٌ بالسكون؛ لأنَّ المدَّ والحركة لا يقبلان السكون ولا الحركة، وإنَّما قصدوا به شيئاً شبيهاً باعتبار العروضيين، وهو أنَّ حرفَ المدِّ يساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركةً مَثْلُوَّةً بسكون)^(١٣).

ويرى الدكتور جعفر دك الباب أنَّ: ((وصف حروف المد في العربية بالسواكن يُقصد به الإشارة إلى أنَّ إشباع لفظ حركة المتحرك يشبه السكون، من حيث إنَّ الإشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد، بل يؤدي إلى تغيير وصف المقطع))^(١٤). ومعنى كلامه أنَّ إشباع الحركة القصيرة بعد الصامت وتحويلها إلى طويلة، يؤدي إلى تغيير وصف المقطع الذي قاعدته ذلك الصامت نفسه، ولا يؤدي إلى حدوث مقطع جديد منفصل عن المقطع السابق، وبالرسم المقطعي للفعل: (قال) والظرف: (قَبَل) تكون كالآتي:

ق — ل — ق — ب / ل —

إذ لم ينجم بإشباع فتحة القاف في (قال) أو تفتيتها بالباء الساكنة مقطع جديد، وإنما تغير المقطع من طويل مفتوح في قا (س ع ع) إلى قصير مغلّق في قَب (س ع س).

وإذا كان لي أن أدلّو بدلّوي في الموضوع أقول: إنَّ نظرةً فاحصةً في مُعطيات الدرس الصوتي عند علمائنا القدماء، تُؤقِّفنا على حقيقة مفادها أنَّهم لم يكونوا يخوضون فيها لذاتها وفي ذاتها، وإنما كانوا يوظفونها في ميدان علم الصرف وتفسير أحكامه، وهذا ما يُشجّع على القول بأنهم انطلقوا في مقولتهم هذه على أساس مِمَّا اجترحوه من أحكام علم الصرف، وسأعرض لأسباب ثلاثة يُمكن أن تكون مُفسِّرةً لمقولة النحاة بسكون حروف المد، وكونها مسبوقه بحركات قصيرة مجانسة.

فيما يخص سكون حروف المد، يمكن أن يكونوا قد انطلقوا من معطيات علم العروض، إذ دأبوا - منذ الخليل - على التعامل مع حروف المد في الرسم العروضي تعاملهم مع الصوامت^(١٥)، فإذا مثلنا الجملة: مَنْ جاءكم تمثيلاً عروضياً وجدنا أن وزن (جا) يساوي وزن (كَمْ):

مَنْ (مُس) جا (تَف) ء (ع) كَمْ (لَنْ) (لَنْ: جا) (تَف) = كَمْ (لَنْ)

ولعل من أوضح الأمثلة بيت امرئ القيس في أول معلقته، وهي من البحر الطويل:

فَإِذَا نَبَّكَ مِنْ ذَكَرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ^(١٦)

فعلولن مفاعيلن فعلولن مفاعيلن مفاعيلن فعول مفاعيلن فنلاحظ أنهم يقابلون ألفَ

المد من المقطع (رى) في (ذكري)، يقابلونها بـ (لَنْ) ويصنعون الأمر نفسه مع (نَب) من نبك:

نَبَّ (لَنْ) = رى (لَنْ)، وكذلك (بِن) من حبيبٍ و (لي) من منزل

إنَّ فمساواة حرف المد بالسواكن في المستوى الوظائفية بدأت مُبَكِّراً منذ أن تفتت عبقرية

الخليل (١٧٠هـ) عن علم العروض، ولا شك في أنها قد ألفت بظلالها على الدرس النحوي والصرفي.

وفي تصور القدماء عن قوافي الشعر ما يشي بأنهم كانوا على وعي بالفرق بين أصوات المد

والأصوات الساكنة، إذ فرقوا بين القافية المنتهية بحرف صحيح والقافية المنتهية بحرف مد أو حركة

قصيرة، فقسموا القافية على قسمين:

١- مُطَلَّقة: وهي التي يكون حرفُ الروي فيها حرفَ مدٍّ أو حركةً قصيرةً.

٢- مُفَيْدَةٌ: وهي التي يكون حرفُ الروي فيها حرفاً صحيحاً.

ومثال الأولى قول شوقي في نهج البردة:

أَحَلَّ سَقَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

وقول أبي العلاء المعري في رائعته:

فَنَيْتَ وَالظَّلَامُ لَيْسَ بِفَانِي (١٧)

عَلَّانِي فَإِنَّ بِيضَ الْأَمَانِيِّ

ومثال الثانية قول شوقي أيضاً:

حَسْبُهُ اللَّهُ ، أَيْلُورِدُ عَنَرٌ؟ (١٨)

نَاشِيءٌ فِي الْوَرْدِ مِنْ أَيْامِهِ

وقول السيد رضا الهندي:

وَرَحِيقُ رِضَابِكَ أَمْ جَوْهَرٌ

أَمُقَلِّجٌ تُغْرِكَ أَمْ سُكَّرٌ

إِنَّمَا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ (١٩)

قَدْ قَالَ لِنُغْرِكَ صَانِعُهُ

ومِمَّا يدلُّ على تمييزهم بينهما ما قالوه في الرِّدْفِ (وهو حرف المد قبل الروي) من أنه إذا جاء

مكانه حرفٌ صحيحٌ ساكناً يُعَدُّ عيباً من عيوب القافية، يُسَمَّى سِنَادَ الرِّدْفِ

ومثاله بَيْتًا حسان بن ثابت:

فَأَرْسِلْ لِبَيْبَا وَلَا تُوصِيهِ

إِذَا كُنْتُ فِي حَاجَةِ مُرْسِلَا

فَشَاوِرْ لِبَيْبَا وَلَا تُعْصِيهِ

وَإِنْ بَابُ أَمْرِ عَلَيْكَ النَّوَى

فَفَرَّقُوا بَيْنَ وَائِوَالِ الْمَدِّ فِي (تُوصِيهِ) (٢٠) .

١- وفيما يخص سيق حروف المد بحركات ، لعلَّ أنَّ لما قرَّ في علم الصرف من مبدأ نقل الحركات؛

أثراً في تلك المقولة، ونقل الحركات يمثل نوعاً من أنواع الإعلال هو الإعلال بالنقل، ومثاله

يَقُولُ، إذ قالوا بأنَّ أصله: يَقُولُ، فَنُقِلَتْ حركة الواو إلى القاف ، ولذا فإنَّ الواوَ بَقِيَتْ من غير

حركة (عدم الحركة)، وعدم الحركة يعني عندهم السكون .

ومثله يقوم فأصله عندهم: يَقُومُ ، فَنُقِلَتْ ضمة الواو إلى القاف (٢١).

فبقيت الواو من غير حركة فهي ساكنة، ومقول أصلها مقول، وهكذا .

وإذا ما أردنا أن نمثِّل هذا النقل مقطعيًا يكون كالآتي:

يَ – قَ / وُ / مَ – / قَ / يَ ← قَ / مَ / مَ –

مَ – قَ / وُ / مَ – / قَ / مَ – / قَ / مَ –

ففي المثال الأول استطال المقطع القصير المفتوح (و –) (س ع) فأصبح مقطعاً طويلاً مفتوحاً

(قَ –) (س ع ع) . وفي الثاني تحولت القاف من قفل المقطع الأول إلى قاعدة مقطع جديد طويل

مفتوح (قَ –) .

ما دأبوا عليه من وزن الكلمة بالميزان الصرفي، إذ استقرَّتْ صَعْتُهُم على تمثيل عدد حروف

الكلمة في الميزان دون مراعاة الصورة النطقية للحروف، وبتعبير آخر كانوا يمثلونها ببنيتها العميقة لا

السطحية، أي أنهم يراعون الواقع النطقي للكلمة على مستوى عدة حروفها دون مراعاة هوية هذه

الحروف، وقد كان الميزان الصرفي مثاراً للخلاف منذ القدم، فقد رَوَتْ كتب التراجم مُنَاطِرَةً حَدَّثَتْ

بين أبي عثمان المازني(ت ٢٤٧هـ) وابن السكِّيت(ت ٢٤٤هـ) في وزن الفعل(نَكْتَلُ) من الآية

الكريمة في سورة يوسف: ((فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ)) (٢٢) ، فقال ابنُ السكِّيت بأنَّ وزنها(تَفْعَلُ)، فأشكَلَ

عليه المازني بأنَّ ماضيه لا بدَّ أن يكون(كَتَلَ)، فَعَدَّلَ ابنُ السكِّيت عن رأيه وقال بأنَّ وزنها(نَفْتَعِلُ)،

فأشكل عليه المازني بأنّ (نفتعل) خمسة حروف ونكتل أربعة ، فكيف تكون أربعة أحرف بوزن خمسة، فانقطع ابن السكّيت وسكّت (٢٣).

ولا يخفى أنّ المازنيّ كان يقصد تبكيت ابن السكّيت وإفحامه، وألزمه مالا يلزم، إذ إنّ كلا الزننين صحيحة، ذلك أنّ لزنة ما حُذِفَ منه شيءٌ طريقتين: إحداهما وزنه بحسب الأصل فتكون زنته (نَفْتَعْلُ)؛ لأنّ أصله (نَكْتَيْلُ) تَحَرَّكَ الياءُ وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ولمّا كان الفعل مجزوماً بوقوعه جواباً للطلب، أفضى ذلك إلى التقاء ساكنين هما ألف المد واللام المجزومة (نكتال) فحُذِفَت ألفه فصار (نكتل)، فهذه الطريقة قائمة على وزن الكلمة قبل طروء التغيير-من إعلال أو إبدال أو حذف- عليها (٢٤).

والطريقة الأخرى وزنها بحسب الصورة دون الأصل، فتكون زنته (نَقْتَلُ)، وهي الطريقة التي خطّأ المازنيّ ابن السكّيت فيها، قال السيوطي: ((وإذا حُذِفَ من الكلمة شيءٌ ، فلك أن تَرْتَهَ باعتبار أصله، أو باعتبار ما صار إليه، فوزنُ شَيْءٍ وسهٍ ويَدٍ باعتبار الأصل: فِعْلَةٌ وفَعْلٌ وفَعِلٌ، وباعتبار الحذف: عِلَةٌ وقِلٌ وفِعٌ)) (٢٥).

وقد أخذ المُحدِّثون على القدماء مقولة الأصل هذه، فهي مسألة افتراضية تتناهى والطابع الوصفي لعلم اللغة الحديث، وأفضت إلى تعقيدات كثيرة لا سيما في مبحث الإعلال (٢٦). ومن أبرز مصاديقها قولهم بأن زنة قال (فعل) وزنة (باع) كذلك؛ لأن أصلهما (قول) و(بيع)، ودأبوا على تحليل ما طرأ عليها من تغيير بتحريك الواو والياء وانفتاح ما قبلها، ولكن الرضي الاسترابادي خالفهم في ذلك فقال: ((اعلم أن علة قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما ألفا ليست في غاية المتانة؛ لأههما قلبتا ألفا للاستتقال)) (٢٧). وقد بيّن فيلسوف العربية ابن جني مراد النحاة من هذه المقولة فسبق المحدثين إلى ذلك ، قال: ((وينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قولنا: إنه كان الأصل في (قام وباع) (قومَ وبيع) ... أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدةً من الزمان بـ (قومَ وبيع)، ثم أضربوا عن ذلك فيما بعد، وإنما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على ما يوجب القياس بالحمل على أمثاله لقيّل: قومَ وبيع...)) (٢٨).

وقد أشكل الدكتور حسام النعيمي على هذا التوجيه بأن هذه الحركة المفترضة حركة عدمية لا وجود لها إلا في أذهان النحاة، فكيف يصح حمل بنية موجودة على شيءٍ عديمي؟ فعندما يقولون بأن أصل يعنُ وقلتُ: بيعتُ وقولتُ، فنقلتُ قولتُ إلى قولتُ، وبيعتُ إلى بيعتُ؛ لأن الضمة من الواو والكسرة من الياء، ثم قلبتا ألفا في التقدير لتحركهما وانفتاح ما قبلهما، وقبلهما لام الفعل ساكنة لاتصالها بالضمير (قالتُ وبعنتُ)، فسقطت العين فنقلتُ حركتها المجتلبة لها إلى الفاء قبلها فصارت: قلتُ وبعنتُ، فنلاحظ أنهم افترضوا بقاء حركة الواو والياء مع أنهما استحالا ألفا (٢٩) ! وهو لعمرى إشكال متين من أستاذ قدير، وإذا ما أردنا أن نمثّل هذه القصة من التحولات مقطعيّاً تكون كالآتي:

ق - /و- ل/ت - ء ← ق - /و- ل/ت - ء ← ق - ل/ت - ء
 ← ق - ل/ت - ء
 ب - /ي- ع/ت - ء ← ب - /ي- ع/ت - ء ← ب - ع/ت - ء
 ← ب - ع/ت - ء

ومن المُحدِّثين مَنْ ذهبَ إلى وزن الكلمة على صورتها ، والابتعاد عن كل ما يمت إلى الافتراض بصلة ، فوزن قال وباع فال ، ووزن داعٍ وقاضٍ فاعٍ ، ووزن مرٌّ وشدٌّ فَعْلٌ؛ لأنّ نطقها مرٌّ وشدّد ، ووزن عِدّة عِلّة، ووزن رمى فعى وهلم جرأ، ومن هؤلاء د. تمام حسّان (٣٠).

وحاول الدكتور عبد الصبور شاهين الجمع بين التصورين، بالحفاظ على نظرية الأصل المفترض مع تفسيرها تفسيراً جديداً، فوزن قال وباع هو فال، ووزن رمى وغزا وسعى فعا لا فعل، لكنه في الوقت نفسه يعترف أن أصل قال قول وباع بيع، لكن الواو والياء حُذِفَتا لداعٍ صوتي، وهو

التخلص من الانزلاق الطارئ، فهو يقف وسطاً بين الوصفيين من المحدثين والنحاة القدماء، واعترف الدكتور شاهين بأنه مسبوق في ذلك برأي عبد الفاهر الجرجاني الذي يزنها بالطريقة نفسها، إلا أن الفرق في التفسير، فالجرجاني يرى أن الألف في فال منقلبة عن الواو، والدكتور شاهين يرى أن عين الفعل سقطت أصلاً^(٣١)، فتكون عنده من الإعلال بالحذف لا بالنقل أو القلب. وتبعه على ذلك الدكتور حسام النعيمي لكنه فسر التحول تفسيراً مقطعيًا، وذلك أن ما يقابل الأصل المفترض قاعدة مزدوج صاعد هي الواو نصف المصوت الاحتكاكي (و-) وما يقابل العين في الواقع مصوت طويل هو الألف المدية، فهو يفسر ما حدث بحذف المقطع الثاني وهو المزدوج، ومد الصوت بمصوت المقطع الأول^(٣٢). إلا أن الأدق القول بسقوط قاعدة المزدوج وبقاء القمة، فاجتمع صائتان قصيران فكانت الألف:

ق - /و- /ل- ← ق - /× /- / ل - ← ق - /ل- ←

أو حدوث ما يسمى بالاتحاد وهو تحول الصائت القصير ونصف الصائت إلى صائت طويل، بعكس الانشطار الذي هو تحول الصائت الطويل إلى صائت قصير ونصف صائت، وتسميته بالاتحاد واضحة في أن الصائت القصير الذي هو قمة المقطع الذي سقطت قاعدته، قد اتحد مع قمة المقطع السابق وهي صائت قصير فاستحالت صائتًا طويلًا .

وخلاصة ما قصدته مما تقدم أن إطلاق القدماء السكون على أصوات المد، وقولهم بوجود حركات مجانسة لها قبلها، مقولة قابلة للنقاش والكلام في مدى دقتها أو عدم دقتها، إلا أن ما لا يمكن قبوله اتهام علمائنا القدماء بأنهم قد انخدعوا بالكتابة، وهي تهمة لا تليق بمتعلم نابها بله العالم الفذ، أو بأنهم قد اعتقدوا سكونها على الحقيقة و لم يفرقوا بينها وبين الصامت الساكن، وقد تبين مما سبق أنهم كانوا على وعي تام بالفرق بينهما لا سيما في معطيات علم العروض، وأنهم إنما جنحوا إلى مثل هذه المقولات لتوظيفها في تفسير الأحكام التي التي اجترحوها، وتسويغ ما شذ عنها أو خرج عن إطارها .

الخاتمة :

يمكن أن ننهي مما تقدم إلى نتائج أهمها :

- (١). أجمع اللغويون القدماء على سكون أصوات المد وأنها مسبقة بحركات من جنسها، فالألف من (ضارب) مسبوق بفتحة، والواو من (مضروب) مسبوق بضمة، والياء من (في) مسبوق بكسرة.
- (٢). أجمع اللغويون المحدثون على تخطئة القدماء في هذا الرأي، وأجمعوا على أنها حركات بنفسها وأنها غير مسبقة بحركات.
- (٣). أرجع المحدثون قول القدماء بسكون أصوات المد وكونها مسبقة بحركات من جنسها إلى انخداع القدماء بالكتابة العربية التي ترسم الحركات قبل الحروف للتعليم .
- (٤). ومن المحدثين من ذهب إلى أن القدماء لم يكونوا يميزون بين الصوامت والصوائت.
- (٥). على أن من المحدثين من كان أعمق قراءةً لمقولة القدماء تلك، مثل جان كانتينو والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور حسام النعيمي، إذ قرأوا مقولة سكون أصوات المد في سياق المنظومة اللغوية المتكاملة التي أرسى دعائمها القدماء .
- (٦). ولعل من أهم ما وقف عليه البحث أن علماءنا القدماء كانوا على وعي تام بالفرق بين الصوامت والصوائت، ولاسيما فيما اجترحوه من قوانين علم العروض، إذ كان دأبهم منذ الخليل بن أحمد الفراهيدي على التمييز بين الساكن والمتحرك في التفعيلات، وفي مبحث القوافي المطلقة والمقيدة ما يشي بوعي سافر في أذهان اللغويين القدماء بالفرق بين الصامت والصائت .
- (٧). وانتهى البحث إلى تنزيه علمائنا القدماء من القول بأنهم قد انخدعوا بالكتابة العربية، ذلك أنهم هم من قعد قواعدها ووضع أسسها، فكيف يغفلون عما وضعوه وابتكروه.

الهوامش :

- (١). تجاوز الصوائت في العربية - قراءة أخرى- ، أ.د. جواد كاظم عناد: ٥ .
- *مشكلات جمع مُشكّل وليس جمع مشكلة، وحتى لو كان جمع مشكلة فإن العدد إذا تأخر عن المعدود بأن كان صفة له، وكان المعدود مؤنثاً جاز الوجهان تذكير العدد وتأنيثه، مثل نسوة ثلاث وثلاثة.
- (٢). التطور النحوي للغة العربية: ٥٣
- (٣). م. ن. ، الصفحة نفسها
- (٤). الأصوات اللغوية: ٤٠
- (٥). م. ن. الصفحة نفسها
- (٦). دراسات في علم اللغة، القسم الأول، ١٩٦
- (٧). م. ن: ٢٠١
- (٨). م. ن: ١٩٧
- (٩). المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨
- (١٠). ينظر النص في تفسير الألوحي روح المعاني: ١١/١٨٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٩٣/٨، والبداية والنهاية لابن كثير: ١٤/١٦٠
- (١١). دروس في علم أصوات العربية: ١٦٦-١٦٧
- (١٢). م. ن. الصفحة نفسها
- (١٣). ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٧١ .
- (١٤). الساكن والمتحرك في علم اللغة العربية، د. جعفر دك الباب، مجلة اللسان العربي، ع ٢٠ / ص: ١٥ .
- (١٥). ينظر: موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ٥٦ .
- (١٦). ديوانه : ١٤٤ .
- (١٧). سقط الزند : ٩٤ .
- (١٨). ينظر نفسه: ٢٤٦ فما بعد
- (١٩). ديوانه : ٤٢ - ٤٤ .
- (٢٠). نفسه ٢٧٠
- (٢١). ينظر شرح ابن عقيل: ٥٧٠/٢ .
- (٢٢). يوسف ٦٣
- (٢٣). تنظر كاملة في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ٢٠٣، ومجالس العلماء للزجاجي: ٣٠٠، والأشباه والنظائر: ٢٤٩/٣ .
- (٢٤). ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لابن مالك، لناظر الجيش محمد بن يوسف (ت٧٧٨هـ)، حققه مجموعة من المحققين، ١٠/٤٩٠١ .
- (٢٥). همع الهوامع: ٢١٣/٣، وينظر: حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردي على الشافية، مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط: ١٥/١ .
- (٢٦). ينظر: محاولة ألسنية في الإعلال، د. أحمد الحموي، ١٧١ ، ودراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية : ٢٥١-٢٥٣ .
- (٢٧). شرح الشافية: ٩٥/٣ .
- (٢٨). المنصف في شرح تصريف المازني: ١٨٣
- (٢٩). ينظر: أبحاث في أصوات العربية، ١٤ .
- (٣٠). ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ١٤٥ .
- (٣١). ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، ٤٧-٤٨ .
- (٣٢). ينظر: أبحاث في أصوات العربية، ٤٧ .

المصادر والمراجع :

- (١). أبحاث في أصوات العربية - د. حسام النعيمي - ط ١ ، بغداد ، ١٩٩٨ م .
- (٢). الأشباه والنظائر في النحو، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، ط ٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- (٣). الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم انيس ، ط ٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- (٤). البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، تحقيق وتدقيق علي شيري ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ .
- (٥). تجاوز الصوائت في العربية ، أ.د. جواد كاظم عناد ، المركز الثقافي العراقي ، العراق ، القادسية ، ٢٠٠٨ .
- (٦). التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ، تصحيح وتعليق : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .
- (٧). تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لابن مالك، ناظر الجيش: محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد (ت ٧٧٨هـ)، دراسة تحقيق: أ.د. علي محمد فاخر، أ.د. جابر محمد البراجعة، أ.د. إبراهيم جمعة العجمي، أ.د. جابر السيد مبارك، أ.د. علي السنوسي محمد، أ.د. محمد راغب نزال، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- (٨). دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، د. عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م .
- (٩). دراسات في علم اللغة - القسم الأول ، د. كمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩ م .
- (١٠). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣ .
- (١١). الساكن والمتحرك في علم اللغة العربية، د. جعفر دك الباب، مجلة اللسان العربي، ع ٢٠، نوفمبر ١٩٨٦ .
- (١٢). سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ) ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- (١٣). طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي أبي بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت ٣٧٩هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ ، دار المعارف، القاهرة. (د.ت) .
- (١٤). اللغة العربية - معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .
- (١٥). مجالس العلماء، للزجاجي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢ (د.ط) .
- (١٦). محاولة ألسنية في الإعلال، د. أحمد الحمّو، مجلة عالم الفكر، ع ٢٠، ٣، ديسمبر ١٩٨٩ .
- (١٧). المُتصِف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني البصري (ت ٢٤٧هـ)، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- (١٨). المنهج الصوتي للبنية العربية - د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- (١٩). موسيقى الشعر ، د. إبراهيم انيس ، ط ٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- (٢٠). هَمْعُ الهوامع في شرح جَمْعِ الجوامع : جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

Abstract

Generally speaking , the purpose of this research is fundamentally to show the long vowel sounds "aa" , "w" and "ii" and the differences in the descriptions between the ancient and the modern linguists . The ancients , on the one hand , like Al-Khaleel and Sibawaih , considered these sounds as consonants preceded by "Harakat" which are nearly similar to them. For example the "aa" (the Alef) is preceded by |e| , the |w|(the waw) by |^| and the "ii" by |i| .

The modernists , on the other hand , took a different point of view . on the contrary , have considered these vowel sounds as "Harakat" , not sounds . Therefore , they criticized the ancients and said that they lack the scientific description in their phonetic interpretations .